عالَم الحشر

الإمام الشيخ

عبد الله سراج الدين

رحمه الله تعالى ورضي عنه

هذا البحث مقتبس من كتاب

(الإيمان بعوالم الآخرة ومواقفها)

من الصفحة ١٧١ حتى الصفحة ٢٠٠

للشيخ الإمام
عبد الله سراج الدين الحسيني
بناء على توجيهات ولده
المهندس الشيخ
محمد محيي الدين سراج الدين

رحمهما الله تعالى ورضي عنهما

ويمكنك تحميل هذه الأبحاث القيّمة
وتحميل جميع كتب الشيخ الإمام
من موقعه الرسمي والوحيد
WWW.SRAJALDEN.COM
قسم مؤلفات الإمام
ـ المؤلفات المكتوبة وقبسات من المؤلفات

مدير الموقع :
الشيخ عبد الله محمد محيي الدين سراج الدين

عالَم الحشر

الحشر في لغة العرب معناه: الجمع، والمراد بالحشر جمع الخلائق كلهم إلى الموقف بعد بَعثهم وإخراجهم من بطن الأرض.

قال الله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾ أي: فلم نترك منهم واحداً، وذلك أن الله تعالى يسيِّر فيه الجبال بعدما كانت ثابتة راسخة في أماكنها، وإذا بها طرأت عليها حالة أنها سُيِّرت فكانت سراباً، وهذه الحالة هي من جملة الأحوال التي ذكرها الله تعالى عن الجبال يوم القيامة.

قال العلامة الفخر الرازي رحمه الله تعالى: إنّ الله تعالى ذكر أحوال الجبال بوجوه مختلفة ـ أي: يوم القيامة ـ ويمكن الجمع بينها بأن نقول:

أول أحوالها الاندكاك وهو قوله تعالى: ﴿ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴾ أي: مُسحت الأرض وجبالها ودُقَّ بعضها ببعض.

والحالة الثانية: أنها تصير كالعهن المنفوش، وهو قوله تعالى: ﴿ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴾ أي: تصير بعد أن كانت صلبة تصير كالصُّوف المندوف.

والحالة الثالثة: أن تصير كالهباء المنبثِّ في الهواء، قال تعالى: ﴿ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴾ أي: فتِّتت حتى صارت

كالدقيق المبسوس ـ أي: المبلول.

والحالة الرابعة: أَنْ تنسفها الرياح عن وجه الأرض، فَتُطَيِّرَها في الهواء، وهو قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا﴾.

والحالة الخامسة: أَنْ تصير سَراباً ـ أي: لا شيء، كما يُرى السراب من بعيد، وهو قوله تعالى: ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾.

وقال الله تعالى: ﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾.

وهذا المنادي هو إسرافيل عليه السلام، فإنه يُنادي بالأموات عن أمرٍ من الله تعالى، من مكان قريب من ذاتهم وجميع ذراتهم قائلاً: «يا أيتها العظام البالية، والأوصال المتقطِّعة، واللحوم المتمزِّقة، والشعور المتفرقة إن الله تعالى يأمركنَّ أن تجتمعن لفصل القضاء».

وفي هذا يقول سبحانه: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾ خُشَّعًا أَبْصَـٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾ ـ أي: القبور ـ ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾ مُّهْطِعِينَ﴾ ـ أي: مسرعين ـ ﴿إِلَى ٱلدَّاعِ يَقُولُ ٱلْكَـٰفِرُونَ هَـٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾.

ثم قال سبحانه: ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ﴾ وتلك النفخة الثانية التي يكون بها الإحياء ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ﴾ من القبور ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ﴾ ـ أي: لا شريك لنا في ذلك ـ ﴿وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ﴾ مصير العالم، ورجوع الخلائق إلينا، لأجل الحساب والجزاء ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ والمعنى: أنهم

يخرجون من القبور مسرعين إلى المحشر.

وأول من تنشقُّ عنه الأرض هو السيِّد الأكرم والحبيب المعظم سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، الذي خُصَّ بالأوَّليَّات في جميع العوالم.

روى مسلم، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأنا أوّل من ينشقُّ عنه القبر، وأنا أوّل شافعٍ وأول مشفَّعٍ».

وإنما ذكر سيادته صلى الله عليه وآله وسلم يوم القيامة، مع أنه هو سيد ولد آدم في كل العوالم ـ ذلك لأنَّ يوم القيامة هو يوم مجموع له الناس، فتظهر فيه سيادته لكل امرىء عياناً بلا إنكار مُنْكِر، فلا يُنافي أَنَّ سيادته صلى الله عليه وآله وسلم ثابتة في الدنيا وفي جميع العوالم.

وأطلق في الوصف بذلك ـ أي: بسيادته صلى الله عليه وآله وسلم ولد آدم ـ لإفادة العموم لأولي العزم وغيرهم من الأنبياء والمرسلين، وتخصيص ولد آدم ليس للاحتراز إذ هو صلى الله عليه وآله وسلم أفضل حتى من خواص الملائكة إجماعاً ـ كما أوضح ذلك المحققون العلماء.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أنا سيِّد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبيٍّ يومئذ آدم فمَنْ سواه إلا

تحت لوائي، وأنا أول من تنشقّ عنه الأرض ولا فخر، وأنا أول شافع وأول مشفَّع ولا فخر»[1].

أي: هو يقول ذلك صلى الله عليه وآله وسلم شُكراً لا فخراً، بل شُكراً لله تعالى، وتحدثاً بنعمته، وإعلاماً للأمة أنه مما يجب عليه تبليغه، ليعتقدوا فضله على من سواه صلى الله عليه وآله وسلم.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أنا أول مَن تنشقّ عنه الأرض، ثم أبو بكر، ثم عمر، ثم آتي أهل البقيع فيُحشرون، ثم أنتظر أهل مكة حتى أُحشر بين الحرمين» رواه الترمذي وقال: حسن صحيح.

صفـــة أرض المحشر

قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ۝١٣ فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ﴾.

والمعنى فإنما هي الرادفة التي هي النفخة الثانية، التي بها إحياء الأموات: ﴿زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ يُجمعون بها جميعاً، ولا يتخلّف منهم أحد ﴿فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ﴾ أي: صاروا كلهم على وجه أرض المحشر، وإنما وصفها بالساهرة: لسعة أطرافها، وتباعد أكنافها، وشدة مخاوفها ومتالفها، فلذا كان شأن من حلَّ فيها أن يكون ساهراً لا ينام: لشدّة الفزع والخوف؛ إلا من آمنه ورحمه الله تعالى.

---

(١) قال الحافظ الزرقاني: رواه الترمذي وقال: حديث صحيح، وكذا رواه ابن ماجه، والإمام أحمد.

روى الشيخان، عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «يُحْشَر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء[1] كقرصة النَّقِيِّ[2] ليس فيها عَلَم لأحد».

وفي رواية: «ليس فيها مَعْلَم لأحد»[3].

أي: ليس فيها علامة لأحدٍ من أبنية مرتفعة، أو قصور ممتعة، أو تُلول أو جبال ممتنعة.

قال في: (الفتح): وفيه ـ أي: الحديث المتقدم ـ إشارة إلى أن أرض الدنيا اضمحلّت وأُعدِمتْ، وأن أرض الموقف تجدَّدت.

قال: وقد وقع للسلف خلاف في المراد بقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ هل المراد بتبديلها تغيير ذاتها وصفاتها؟ أو تغيير صفاتها فقط؟

قال الحافظ: وحديث الباب يؤيِّد الأول.

وأخرج عبد الرزاق، وعَبدُ بن حُميد، والطبري في: تفاسيرهم،

---

(١) قال القاضي عياض رحمه الله تعالى: العَفَر بياض يَضْرب إلى حمرة قليلاً، ومنه سمي: عفر الأرض وهو وجهها. اهـ.

(٢) قال في: (الفتح): «النقي» بفتح النون وكسر القاف أي: الدقيق النقيِّ من الغش والنخال قاله: الخطابي.

(٣) العَلَم والمعلم واحد، قال القاضي عياض: والمراد أنها ليس فيها علامة سكن، ولا بناء، ولا أثر، ولا شيء من العلامات التي يُهتدى بها في الطرقات: كالجبل، والصخرة البارزة، وفيه تعريض بأرض الدنيا، وأنها ذهبت وانقطعت العلاقة منها.

والبيهقي في: (الشعب) عن ابن مسعود رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ﴾ الآية ـ قال: (تبدل الأرض أرضاً كأنها فِضَّة لم يُسفك فيها دم حرام، ولم يُعمل عليها خطيئة).

قال الحافظ: ورجاله رجال الصحيح، وهو موقوف.

ولأحمد من حديث أبي أيوب رضي الله عنه «أرض كالفضة البيضاء».

وذكر الحافظ عدة من الآثار في ذلك ثم قال: وأما مَن ذهب إلى أن التغيير إنما يقع في صفات الأرض دون ذاتها، فمستنده ما أخرجه الحاكم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: (إذا كان يوم القيامة مُدَّت الأرض مدّ الأديم، وحُشر الخلائق).

ومن حديث جابر رضي الله عنه رَفَعَهُ: «تُمدُّ الأرض مَدَّ الأديم، ثم لا يكون لابن آدم فيها إلا موضع قدميه».

قال: ورجاله ثقات، إلا أنه اختلف على الزهري في صحابِيِّه.

وساق آثاراً تدل على هذا القول ثم قال: وهذا وإن كان ظاهره يُخالف القول الأول، فيمكن الجمع بأن ذلك كله يقع لأرض الدنيا، لكنَّ أرض الموقف غيرها. اهـ ملخصاً.

ونقل في: (تفسير) الآلوسي رحمه الله تعالى، عن بعض العلماء: أن الأرض تُبدَّل أَوَّلاً صفتها، ثم تُبَدَّل ذاتها، وتَبَدُّلُ الذات يكون بعد أن تُحدِّث الأرض أخبارها.

قال: ولا مانع أن يكون هناك تبديلات على أنحاء شتى. اهـ.

وقد جاء في الحديث: أَنَّ الأرض حين تُبدَّل غير الأرض؛ يكون الناس على الصراط:

فقد روى مسلم، عن السيدة عائشة رضي الله عنها، أنها سألت النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن هذه الآية: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ﴾: أين يكون الناس حينئذٍ؟

قال صلى الله عليه وآله وسلم: «على الصراط».

وفي رواية الترمذي قال: «على جسر جهنم».

ولأحمد من طريق ابن عباس رضي الله عنهما، عن السيدة عائشة رضي الله عنها قال صلى الله عليه وآله وسلم: «على متن جهنم».

وأخرج مسلم من حديث ثوبان رضي الله عنه، قال صلى الله عليه وآله وسلم: «هم في الظلمة دون الجسر».

قال الحافظ: وقد جمع البيهقي ـ أي: بين ما تقدم ـ بأن المراد بالجسر الصراط، وأن في قوله: «على الصراط» مجازاً، لكونهم يجاوزونه، لأن في حديث ثوبان رضي الله عنه زيادة يتعيَّن المصير إليها لثبوتها، وكان ذلك عند الزجرة التي تقع عند نقلهم من أرض الدنيا إلى أرض الموقف ـ إلخ. اهـ.

وهكذا يَحشر الله تعالى الخلائق في أرض مستوية، لا ترى فيها عوجاً ـ أي: انخفاضاً ـ ولا أمتاً ـ أي: ارتفاعاً ـ بحيث إنَّ الناظر إليهم ينظرهم، والداعي لهم يسمعهم، وقد ازدحمت عليهم الشدائد والأهوال، وحلَّت فيهم الكُرُبات والهموم، فأحاطت بهم النار من شتى نواحيهم، ودنت الشمس منهم قدرَ ميل، وساورتهم الهموم والغموم ـ ومهما كانت كربات الدنيا عظيمة، وشدائدها أليمة؛ فإن كربات الآخرة أعظم، وشدائدها أدهى وأمرُّ، ومهما

كانت هموم الدنيا ثقيلة؛ فإنَّ همَّ الآخرة أثقل ـ إلا مَن أَمَّنَهُ الله وسلَّمه.

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾.

وقد أشار النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى شدة كربات يوم القيامة، وأنها أعظم من كربات الدنيا حيث قال: «مَن نفَّس عن مؤمنٍ كربةً من كرب الدنيا نَفَّس ـ أي: فرج ـ الله عنه كربة من كُرَب يوم القيامة» أي: وما كُربات الدنيا في جانب كُربات الآخرة إلا شيء يسير من كثير.

صفـــات أهل المحشر

روى الشيخان، عن السيدة عائشة رضي الله عنها أنها قالت: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «يُحشَر الناس يوم القيامة حفاة عراة غُرْلاً».

قالت عائشة رضي الله عنها: قلتُ يا رسول الله: الرجال والنساء جميعاً، ينظر بعضهم إلى بعض؟

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «يا عائشة: الأمر أشدُّ من أن ينظر بعضهم إلى بعض».

وعند النّسائي فقالت عائشة رضي الله عنها: يا رسول الله: فكيف بالعورات؟

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه».

يعني: أَنَّ كل واحد منهم هُو مشغول بأحواله؛ أو بأهواله عن التطلع والنظر إلى غيره.

اللهم أجرْنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة، بجاه حبيبك الأكرم سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

وروى الترمذي بتحسين وتصحيح، عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «تُحشرون حُفاة عُراة غُرلاً».

فقالت امرأة: أيُبصر أو يَرى بعضنا عورة بعض؟

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «يا فلانة: لكلٍّ امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه».

والغُرل جمع أغرل وهو: الأقلف ـ أي: غير مختون.

ولذا قال العلماء في قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «غرلاً» إشارة إلى أَن الله تعالى يُعيد إلى الإنسان حين يَبعثه جميع الأجزاء والأعضاء الزائلة في الدنيا، المنفصلة عنه، وفيه تأكيد لإعادة أجزاء الإنسان كله، وذلك لأَنَّ القُلفة كانت واجبة الإزالة في الدنيا، فغيرها من الأشعار والأظفار والأسنان ونحوها المنفصلة أولى أَنْ تعاد.

وفي: (الصحيحين) واللفظ لمسلم، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قام فينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خطيباً بموعظة فقال: «يا أيُّها الناس: إنكم تُحشرون إلى الله تعالى حُفاة عراة غُرلاً» ثم قرأ: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾.

«ألا إنَّ أول الخلائق يُكسى يوم القيامة إبراهيم عليه السلام.

ألا إنه سيجاء برجال من أُمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: يا ربِّ أصحابي.

فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك.

فأقول كما قال العبد الصالح: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾».

قال: «فيقال: إنهم لم يزالوا مرتدِّين على أعقابهم منذ فارقتَهم».

قال العلماء: وإنما كان الخليل أَوَّل مَن يكسى يوم القيامة، لأنه أول من كَسَى الفقراء، وأول من عُرِّي في ذات الله تعالى حين أُلقي في النار، لا لأنه أفضل من سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، بل الحقّ أن سيدنا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم يُحشر كاسياً، فهو صلى الله عليه وآله وسلم يَخرج من قبره الشريف بثيابه التي دُفن فيها صلى الله عليه وآله وسلم، فتكون أَوَّلية الخليل في الكسوة بالنسبة للخلائق؛ لا بالنسبة له صلى الله عليه وآله وسلم.

ويشهد لذلك أنه صلى الله عليه وآله وسلم قد أكرمه الله تعالى، وحفظه من أن يُجرَّد من ثيابه، حتى إنَّه لما قام الصحابة لغسله بعد وفاته صلى الله عليه وآله وسلم، رأوا أن يُغسلوه وعليه ثيابه ـ وذلك تكرمة وحرمة له صلى الله عليه وآله وسلم.

كما جاء في: (سنن) أبي داود، و(مسند) أحمد، و(مستدرك) الحاكم، بأسانيد صحيحة، عن عباد بن عبد الله بن الزبير رضي الله

عنهم قال: سمعت السيدة عائشة رضي الله عنها تقول: (لما أرادوا غَسْل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قالوا: لا ندري أنجرِّد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من ثيابه كما نُجرِّد موتانا، أمْ نغسله وعليه ثيابه؟ فلما اختلفوا ألقى الله تبارك وتعالى عليهم النوم، حتى إنه ما منهم رجل إلا وذقنه في صدره، ثم كلَّمهم مكلِّم من ناحية البيت ـ لا يدرون من هو ـ اغسلوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بثيابه.

فقاموا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فغسلوه وعليه ثيابه، يصبُّون الماء فوق القميص، ويدلكونه بالقميص دون أيديهم) ـ أي: ثم جيء بثلاثة أثواب بيض كما في حديث مسلم، عن السيدة عائشة رضي الله عنها: (أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كُفِّنَ في ثلاثة أثواب بيض).

كما أن سيدنا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم هو أول من يكسى من حُلَل الجنة.

فقد روى الترمذي، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «أنا أول من تنشقّ عنه الأرض، فأكسى حلةً من حلل الجنة، ثم أقوم عن يمين العرش ليس أحد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري» صلى الله عليه وآله وسلم.

أهـوال مـوقف الحـشر
وكُرُبـاتـه الشديـدة المديـدة

قال الله تعالى: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ

ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ فهو يوم عظيم الهول والمخاوف، حتى إنَّ أهل الموقف من شدة الكرب الذي أحاط بهم؛ ليعرق أحدهم عرقاً يَغيب في رشحه إلى أنصاف أُذنيه.

روى الشيخان واللفظ للبخاري، عن ابن عمر رضي الله عنهما، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «يقوم الناس لربِّ العالمين، حتى يغيب أحدهم في رشحه ـ أي: عرقه ـ إلى أنصاف أُذنيه».

ورواه الإمام أحمد ولفظه: «يقوم الناس لربِّ العالمين، لعظمة الرحمن عز وجل يوم القيامة، حتى إنَّ العرق ليلجم الرجال ـ أي: الأقوياء الأشد ـ إلى أنصاف آذانهم».

وروى مسلم، عن المقداد بن الأسود رضي الله عنه قال: (سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «تُدنى الشمس يوم القيامة من الخلق؛ حتى تكون منهم كمقدار ميل» ـ قال سليم بن عامر: فوالله ما أدري ما يعني بالميل: أمسافة الأرض، أم الميل الذي تكتحل به العين ـ؟

قال: «فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق، فمنهم مَن يكون إلى كعبيه، ومنهم من يكون إلى ركبتيه، ومنهم من يكون إلى حَقْويه[1]، ومنهم من يُلجمه العرق إلجاماً» وأشار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيده إلى فيه).

وروى ابن أبي حاتم بإسناده إلى أبي هريرة رضي الله عنه، أن

---

(١) تثنية حَقْو، وهو موضع شدِّ الإزار، وهو الخاصرة.

النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لبشير الغفاري رضي الله عنه: «كيف أنت صانع في يوم يقوم الناس فيه ثلاثمائة سنة لرب العالمين ـ من أيام الدنيا ـ لا يأتيهم خبر من السماء، ولا يؤمر فيهم بأمر»؟

قال بشير: المستعان الله.

قال له صلى الله عليه وآله وسلم: «فإذا أويتَ إلى فراشك فتعوَّذ بالله من كرب يوم القيامة، وسوء الحساب».

وجاء في: (سنن) الترمذي، عن ابن عباس رضي الله عنهما، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول في دعائه بعد فراغه من صلاة قيام الليل: «اللهم يا ذا الحبل الشديد، والأمر الرشيد، أسألكَ: الأمنَ يوم الوعيد، والجنةَ يوم الخلود، مع المقرَّبين الشهود، الركَّع السجود، الموفين بالعهود، إنك رحيم ودود، وإنك تفعل ما تريد» الحديث بطوله.

وهذا تعليم لأمته صلى الله عليه وآله وسلم أن يسألوا الله تعالى الأمن يوم الوعيد، لأنه يوم عظيم شديد، فإنه مَن خاف الله تعالى، وسلك الطريق الذي شرعه الله تعالى، وسأل الله تعالى الأمان يوم الوعيد: أَمَّنَهُ الله تعالى.

فقد روى ابن حبان في: (صحيحه) عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيما يَروي عن ربِّه جلَّ وعلا أنه قال: «وعزّتي لا أجمع على عبدي خوفين ولا أمنين: إذا خافني في الدنيا أَمَّنْتُه يوم القيامة، وإذا أَمِنَنِي في الدنيا أخفتُه في الآخرة».

وقد أخبر الله تعالى أَنَّ المتقين تُزلَف لهم الجنة ـ أي: تقرب

إليهم في مواقف الآخرة، بحيث يَرونها قريبة منهم، ويكونون على مشهد منها؛ لكي يستبشروا، ويبتهجوا بأنهم المحشورون إليها، وبذلك تطمئن قلوب المتقين، وتذهب عنهم الهموم والغموم.

قال تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾.

وقال: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾ أي: جعلت الجحيم بارزة للغاوين في موقف الحشر، بحيث يرونها مع ما فيها من شدَّة الأهوال، وفظاعة الأحوال، وبذلك يتحسَّرون على أنهم المساقون إليها.

وإنما قيل في الجنة: أُزلفت ـ أي: قربت ـ وفي النار بُرِّزت ـ أي: أظهرت ـ لأن النار قريبة من أرض المحشر، لأن الصراط منصوب على متن جهنم، فلا تحتاج إلى تقريب، بخلاف الجنة فإنها وراء الصراط، فإن مَن جاوز الصراط بقناطره كلها سالماً: انتهى إلى الجنة، فالوصول إلى جهنم أولاً ثم إلى الجنة آخراً، بواسطة العبور على الصراط الطويل سالماً، وهذا ظاهر في القرب والبعد كما بينه علماء التفسير.

هذا وإن قُرب جهنم لأرض المحشر إنّما هو بالنسبة لبعد الجنة إلى ما وراء الصراط، فلا يُنافي هذا بُعد جهنم عن أرض المحشر:

قال تعالى في الكفار: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾ يعني: أن النار إذا اطَّلعت على أهلها وهم في المحشر، واطلع عليها أهلها، وتراءيا، سمعوا تغيظها وزفيرها، وشاهدوا فظائعها وأهوالها، وهناك تَمتدُّ منها امتدادات إلى الكفار في

الموقف، وتخرج منها أعناق هي كالمقدِّمات للعذاب الأكبر الذي سيصْلَونه عما قريب.

روى الإمامان: الترمذي وأحمد، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «يَخرج عُنق من النار يوم القيامة: له عينان تبصران، وأذنان تسمعان، ولسان ينطق يقول: إني وُكِّلْتُ بثلاثة: بكلِّ جبار عنيد، وبكلّ من دعا مع الله إلَهاً آخر، وبالمصوِّرين».

وجاء في: (سنن) أبي داود والنسائي وابن ماجه، عن السيدة عائشة رضي الله عنها: (أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يفتتح قيام الليل، يكبِّر عشراً، ويحمد عشراً، ويُسَبِّح عشراً، ويستغفر عشراً، ويقول: «اللهم اغفر لي، واهدني، وارزقني، وعافني» ويتعوَّذ من ضيق المقام يوم القيامة).

والمقصود أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان يقول ذلك حين يستيقظ لقيام الليل، وفي هذا تنبيه إلى شدة هول موقف يوم القيامة، ولذلك ينبغي أن يتعوَّذ الإنسان من كَرب ذلك اليوم وهَوْله: في أقرب أوقات الإجابة، ألا وهو جَوف الليل، حين يقوم متهجِّداً.

وقال الله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾.

والصاخة هي: صيحة يوم القيامة، التي صاح بها إسرافيل عليه السلام، ودعاهم بها عن أمر الله تعالى ـ كما تقدم.

وسُميت بذلك: لأنها تَصخُّ الأسماع ـ أي: تُبالغ في إسماعها،

حتى إنها تكاد تَصمُّ الآذان والأسماع، وهناك يفر المرء من أحبابه وأقربائه.

قال عكرمة مولى ابن عباس رضي الله عنهما: (يَلقى الرجل يوم القيامة زوجته فيقول لها: يا هذه أيَّ بعْل ـ زوج ـ كنت لك؟

فتقول: نِعْمَ البعلُ كنتَ ـ وتُثني بخير ما استطاعتْ.

فيقول لها: فإني أطلب إليك اليوم حسنة واحدة، تَهَبينها لي، لَعلِّي أنجو مما تَرَيْن.

فتقول له: ما أيسرَ ما طلبتَ، ولكن لا أطيق أن أعطيك شيئاً؛ أتخوَّف مثل الذي تخاف.

قال: وإن الرجل ليلقى ابنه فيتعلَّق به، فيقول: يا بُنيّ أيَّ والد كنتُ لك؟

فيثني بخيرٍ.

فيقول له: يا بنيّ إني احتجت إلى مثقال ذرَّة من حسناتك؛ لعلِّي أنجو بها مما ترى.

فيقول ولده: يا أبتِ ما أيسرَ ما طلبتَ، ولكن أتخوّف مثل الذي تتخوف منه فلا أستطيع أن أُعطيك شيئاً)[1].

* * *

(١) انظر: (تفسير) الحافظ ابن كثير، وغيره.

شـدة الحر على أهـل الموقف
إلاّ من أظلـه الله تعالى بظلـه

ثبت بالأحاديث النبوية، أَنَّ أهل الموقف يشتد عليهم الحرُّ، وتدنو الشمس منهم، وتُحيط بهم النيران، ويَسيل عرقهم في الأرض، ويبلغون من الهمِّ ما لا يطيقون ولا يحتملون، حتى يُفتح باب الشفاعة العظمى على صاحبها أفضل الصلاة والسلام.

ففي الطبراني بإسناد صحيح، عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: (تعطى الشمس يوم القيامة حرَّ عشر سنين، ثم تُدنى من جماجم الناس) قال: فذكر الحديث ثم قال: (فيأتون النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم فيقولون: يا نبي الله أنت الذي فتح الله لك) الحديث كما في: (ترغيب) المنذري.

وفي حديث الشفاعة الذي رواه الإمام أحمد، وابن حبان في: (صحيحه) عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وفيه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «عُرِض عليَّ ماهو كائن من أمر الدنيا والآخرة، فَجُمع الأولون والآخرون في صعيد واحد، حتى انطلقوا إلى آدم عليه السلام ـ والعرق يكاد يُلجمهم» الحديث بطوله.

وفي: (الصحيحين) عن أبي هريرة رضي الله عنه ـ في حديث الشفاعة ـ أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «يجمع الله

الأولين والآخرين في صعيد واحد، فيُبصرهم الناظرُ، ويَسمعهم الداعي، وتدنو الشمس منهم، فيبلغ الناس من الغمِّ والكرب ما لا يُطيقون ولا يحتملون» الحديث.

فهذه الأحاديث تدل على عِظم الموقف، وشدّة حرِّه وكربه، وكلٌّ من أهل الموقف يشعر بذلك على حسب مقام إيمانه؛ إلا مَن أظله الله تعالى بظله، وقد بين النبي صلى الله عليه وآله وسلم عِدَّة كثيرة من الأعمال الصالحة تكون سبباً في إظلال الله تعالى لعبده يوم القيامة، ونذكر أطرافاً منها:

١ ـ روى الشيخان وغيرهما، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «سبعة يظلُّهم الله في ظله يوم لا ظلَّ إلا ظله: الإمام العادل، وشابٌّ نشأ في عبادة الله عزّ وجلّ، ورجل قلبه معلَّق بالمساجد، ورجلان تحابَّا في الله: اجتمعا على ذلك وتفرّقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصبٍ وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدّق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله تعالى خالياً ففاضتْ عيناه».

قال الحافظ الزرقاني في: (شرح الموطأ): ورواه أبو نعيم وغيره من وجه آخر، عن أبي هريرة رضي الله عنه فقال بدل: «وشاب نشأ في عبادة الله»، «ورجل كان في سَريَّة مع قوم، فلقوا العدوَّ فانكشفوا، فحمى آثارهم» وفي لفظ: «أدبارهم حتى نجوا ونجا أو استشهد».

قال الحافظ: حديث حسن غريب جداً.

قال: ورواه الحاكم، والبيهقي من وجه آخر، عن سليمان موقوفاً ـ وحكمه الرفع إذ لا يقال رأياً ـ فقال بدل الإمام والشابِّ: «ورجل يُراعي الشمس لمواقيت الصلاة، ورجل إن تكلَّم تَكَلَّم بعلم، وإن سكت سكت عن حلم». اهـ.

٢ ـ ومن الذين يُظلهم الله تعالى في ظله: الوقَّافون عند الحق: لهم أو عليهم:

روى الإمام أحمد، عن السيدة عائشة رضي الله عنها، أَنَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «أتدرون مَن السابقُ إلى ظل الله يوم القيامة»؟

قالوا: الله ورسوله أعلم.

قال: «الذين إذا أُعطوا الحق قبلوه، وإذا سُئلوه بذلوه، وحكموا للناس كحكمهم لأنفسهم» قال الحافظ ابن حجر: غريب، وفيه ابن لهيعة. اهـ.

٣ ـ ومنهم: مَنْ أنظر معسراً أو وضع له:

روى الترمذي، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «مَنْ أنظر معسراً؛ أو وضع له: أظله الله يوم القيامة تحت ظلِّ عرشه، يوم لا ظل إلا ظله»[1].

ورواه ابن ماجه، والحاكم عن أبي اليَسَر ولفظه: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من أنظر معسراً؛ أو وضع له: أظلَّه الله

---

(١) قال المنذري: رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح، ومعنى: وضع له: أي: ترك له شيئاً مما له عليه. اهـ.

في ظله» ورواه الطبراني في: (الكبير) بإسناد حسن.

٤ ـ ومنهم: واصِل الرحم، والمرأة تَحبس نفسها على تربية أولادها الأيتام:

عن أنس رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «ثلاثة في ظل العرش يوم القيامة يوم لا ظل إلا ظله: **واصل الرحم** يزيد الله في رزقه ويمدّ له في أجله، **وامرأة** مات زوجها وترك عليها أيتاماً صغاراً، فقالت: لا أتزوج أُقيم على أيتامي حتى يموتوا أو يُغيثهم الله، **وعبد** صنع طعاماً فأضاف ضيفه وأحسن نفقته، فدعا عليه اليتيمَ والمسكينَ فأطعمهم لوجه الله عزّ وجلّ»[1].

٥ ـ ومنهم المراقب لربه، الذي يعلم أَن الله معه حيثما توجَّه:

روى الطبراني، عن أبي أُمامة رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ثلاثة في ظل الله عز وجل يوم لا ظل إلا ظله: **رجل**: حيث توجَّه علم أن الله تعالى معه، **ورجل** دعته امرأة إلى نفسها فتركها من خشية الله، **ورجل**: أحبَّ لجلال الله».

٦ ـ ومنهم أهل الخُلُق الحسن:

روى الطبراني، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «أوحى الله إلى إبراهيم عليه السلام: يا خليلي حَسِّن خُلقك ولو مع الكفار: تدخل مداخل الأبرار، إن

---

(١) رواه أبو الشيخ، والأصبهاني، والديلمي في: (الفردوس) كما في: (الفتح الكبير).

كلمتي سبقتْ لمن حسَّن خلقه أن أُظله تحت العرش، وأَنْ أَسْقِيه من حظيرة قدسي، وأَنْ أُدْنيه من جواري»[1].

٧ ـ ومنهم حملة القرآن الكريم:

روى ابن النجار، عن علي رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «أدِّبوا أولادكم على ثلاث خصال: حُبِّ نبيكم، وحُب أهل بيته، وقراءة القرآن: فإن حملة القرآن في ظلّ الله يوم القيامة يوم لا ظلَّ إلا ظله مع أنبيائه وأصفيائه»[2].

٨ ـ ومنهم المكثرون للصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

روى الديلمي، عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً: «ثلاث تحت ظل العرش يوم القيامة: مَنْ فرَّج عن مكروب من أمتي، وأحيا سنتي، وأكثر الصلاة عليّ»[3] صلى الله عليه وآله وسلم.

٩ ـ ومنهم المُطعِمُون للجياع:

عن جابر رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ثلاث من كُنَّ فيه أظلَّه الله تحت ظله: الوضوء على المكاره، والمشي إلى المساجد في الظُلَم، وإطعام الجائع».

قال في: (الفتح): رواه أبو الشيخ في (الثواب) والأصبهاني في: (الترغيب).

١٠ ـ ومنهم الطاهرة قلوبهم، البريّة أبدانهم:

---

(١) انظر: (ترغيب) المنذري.

(٢) انظر: (شرح الزرقاني) على (الموطأ) و(الفتح الكبير) وعزاه أيضاً إلى الشيرازي و(مسند الفردوس).

(٣) انظر: (شرح الزرقاني) على (الموطأ).

روى الإمام أحمد، عن عطاء بن يسار: (أن موسى عليه السلام سأل الله تعالى: مَنْ تؤويه في ظل عرشك؟

قال: هم الطاهرة قلوبهم ـ أي: من الغلِّ والحقد ـ البريّة أبدانهم ـ أي: من الخبث والدنس ـ الذين إذا ذكرتُ ذُكروا بي، وإذا ذُكروا ذكرتُ بهم، الذين يُنيبون إلى ذكري، ويَغضُّون لمحارمي، ويَكلَفون بحبِّي).

زاد ابن المبارك في روايته: (الذين يَعمرون مساجدي، ويستغفرونني بالأسحار).

وروى الديلمي، عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً يقول الله تعالى: «قربوا أهل لا إلّه إلا الله في ظلِّ عرشي؛ فإني أحبهم»[1].

اللهم أظلَّنا في ظلِّك يوم لا ظلَّ إلا ظلك ـ آمين.

طُول الموقف يوم القيامة

قال تعالى: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۝١ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ۝٢ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ۝٣ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۝٤ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ۝٥ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ۝٧ يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ۝٨ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ۝٩ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾.

والمعنى لا يسأل قريب قريبه ولا الصاحب صاحبه: كيف حالك، ولا يكلِّمه لهَول ذلك اليوم وشدته، أو المراد ولا يسأله

---

(١) وقد صنف العلماء أجزاء خاصة، جمعوا فيها أحاديث الظلال، كالحافظ السخاوي ثم السيوطي وغيرهما.

الإحسان إليه ولا الرفق به كما كان يسأله في الدنيا؛ لشدة الأمر وهول يوم القيامة.

قال الحافظ الهيثمي في: (مجمع الزوائد): باب خِفَّة يوم القيامة على المؤمنين:

ثم روى عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قيل: يا رسول الله يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ما أطول هذا اليوم؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «والذي نفسي بيده إنه لَيُخفَّف على المؤمن حتى يكون أخفَّ عليه من صلاة مكتوبة يُصليها في الدنيا» رواه أحمد وأبو يعلى وإسناده حسن على ضعف في راويه. اهـ.

وعند الطبراني، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: «ويكون ذلك اليوم أقصر على المؤمن من ساعة من نهار».

وللحاكم والبيهقي، عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً وموقوفاً: «يوم القيامة على المؤمنين كمقدار ما بين الظهر والعصر».

وعند أبي يعلى برجال الصحيح: «فيهوَّن ذلك للمؤمن كتدلِّي الشمس للغروب إلى أن تغرب».

قال الحافظ الزرقاني: وطريق الجمع بين هذه الأحاديث: أن ذلك يختلف باختلاف درجات إيمان المؤمنين. اهـ.

وروى ابن المبارك في كتاب: (الزهد)، وابن أبي شيبة في: (المصنف) واللفظ له بسند جيد، عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: (تُعطىٰ الشمس يوم القيامة حرَّ عشر سنين، وتدنو من جماجم الناس حتى تكون قاب قوسين، فَيَعْرقون حتى يرشح العرق في

الأرض، ثم يرتفع حتى يُغَرغر الرجل).

زاد ابن المبارك في روايته: (ولا يضر حرّها يومئذ مؤمناً ولا مؤمنة). اهـ.

قال العلماء: وظاهر بعض الأحاديث يعمّ جميع أهل الموقف، ولكن هناك أحاديث أُخرى تدل على أَنّ العرق وأهوال الموقف تَعمُّ الكفار والمذنبين، وأشدهم الكفار، ثم أصحاب الكبائر، ثم مَن دونهم في الذنوب، ثم وثم على قدر ذنوبهم.

وأما الأنبياء فهم في أمان من جميع ذلك، وكذلك أتباعهم من الشهداء والصديقين والصالحين، وأهل الظلال كما تقدم.

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾.

قال الحسن البصري رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾: هو يوم القيامة.

قال المفسرون: وأراد أَنَّ موقفهم للحساب حتى يُفصل بين الناس هو في مقدار خمسين ألف سنة من سِنِيِّ الدنيا. اهـ.

أقول: ويشهد لذلك ما رواه الإمام أحمد، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ما من صاحب كنزٍ لا يُؤدي حقَّه إلا جُعل ـ أي: الكنز ـ صفائح يُحمى عليها في نار جهنم، فتكوى بها جبهته وجبينه وظهره؛ حتى يحكم الله تعالى بين عباده، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة مما تعدّون، ثم يرى سبيله: إما إلى الجنة، وإما إلى النار» الحديث، ورواه مسلم كما سيأتي بتمامه إن شاء الله تعالى.

عموم الحشر لجميع الثَّقَلين
والزمان والمكان والحيوان والطيور

قال الله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾.

دلت هذه الآية على أن الله تعالى يَجمع الإنس والجن، ويسألهم عما جرى بينهم في الدنيا من التضليل والإغواء، ومن الاستمتاع والانتفاع على الوجه المحرَّم، فيقول سبحانه: ﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ ﴾ أي: أضللتم كثيراً من الإنس، وجعلتموهم أتباعكم في الضلال ـ والمراد هنا بالجنِّ الشياطين أُولي الضلال.

﴿ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ ﴾.

أما استمتاع الإنس بالجن فهو: ما كانوا يُلقون إليهم من استراق السمع، والسحر والكهانة، وتزيينهم الأمور التي كانوا يَهْوَوْنها.

واستمتاع الجن بالإنس هو: طاعة الإنس للجن في الضلالة والغَواية والمعاصي، والشرك والكفر.

وهكذا تُحشر الأَزْمنة، كما جاء عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «تُحشر الأيام على هيئتها، وتُحشر الجمعة زهراء منيرة، أهلُها يَحفُّون بها

كالعروس تُهدى إلى خِدرها، تُضيء لهم، يمشون في ضوئها، ألوانهم كالثلج بياضاً، وريحهم كالمسك، يخوضون في جبال الكافور، وينظر إليهم الثقلان، لا يطرقون ـ أي: لا يَدعُون النظر إليهم ـ تعجباً حتى يدخلوا الجنة، لا يخالطهم أحد إلاّ المؤذِّنون المحتسبون»[1].

وكذلك تُحشر الأرض وما عليها من: مَدَرٍ وحجر، وشجر من: رطب ويابس؛ لأجل أن تشهد على مَن عمل على ظهرها.

قال الله تعالى إخباراً عن الأرض يوم القيامة: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾.

قال أبو هريرة رضي الله عنه، قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذه الآية: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ قال: «أتدرون ما أخبارها»؟

قالوا: الله ورسوله أعلم.

قال: «أن تشهد على كلِّ عبدٍ وأمةٍ ـ أي: على كل ذكر وأنثى ـ بما عمل على ظهرها، أن تقول: عمل كذا وكذا يوم كذا فهذه أخبارها» رواه الترمذي وقال: حسن صحيح.

وروى البخاري، عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة، أَنَّ أبا سعيد رضي الله عنه قال له: (أراك تُحبُّ الغنَم والبادية، فإذا كنتَ في غنمك وباديتك، فأذَّنْتَ للصلاة فارفع صوتك بالنداء، فإنه

---

(١) قال الحافظ المنذري: رواه الطبراني، وابن خزيمة في: (صحيحه). اهـ.

لا يسمع مدى صوت المؤذن جنٌّ ولا إنس ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة).

قال أبو سعيد رضي الله عنه: سمعتُه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ورَواه مالك والنسائي وابن ماجه وزاد: «ولا حجر ولا شجر إلاّ شهد له».

ورواه ابن خزيمة في: (صحيحه) بلفظ: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «لا يسمع صوت المؤذن شجر ولا مَدَر، ولا حجر، ولا جنٌّ ولا إنس إلاّ شهد له».

وعند أبي داود: «ويشهد له كلُّ رطبٍ ويابس».

أما حشر الحيوانات:

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾.

فأخبر أَنَّ جميع ما ذكره يُحشر إلى الله تعالى.

وروى مسلم وغيره، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «لتؤدُّنَّ الحقوق إلى أهلها يوم القيامة، حتى يُقاد ـ أي يُقتصّ ـ للشاة الجَلْحاء من الشاة القرناء».

ورواه الإمام أحمد بلفظ: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «يُقتصُّ للخلق بعضهم من بعض، حتى للجمَّاء من

القرناء، وحتى للذرَّة من الذرّة» ورواته رواة الصحيح كما في: (الترغيب).

فالله تعالى يحشر الحيوانات ليقتصَّ من بعضها لبعض، فيقتص من الشاة القرناء التي نَطحت الجلحاء ـ التي لا قُرون لها.

وروى النسائي، وابن حبان في: (صحيحه) عن الشريد رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «مَن قتل عُصفوراً عبَثاً عجَّ ـ أي: العصفور ـ إلى الله تعالى يقول: يا رب إن فلاناً قتلني عبثاً، ولم يقتلني منفعة».

فلا يجوز قتل العصفور ونحوه عبثاً أي: لهواً ولعباً، إلا لمنفعة أكلٍ أو نحوه.

كما روى النسائي، والحاكم وصحح إسناده، عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «ما من إنسان يقتل عُصفوراً فما فوقها بغير حقِّها؛ إلا يسألُ اللهُ عنها يوم القيامة».

قيل: يا رسول الله وما حقُّها؟

قال صلى الله عليه وآله وسلم: «أن تذبحها فتأكلها، ولا تقطع رأسها فترميَ به».

وروى الإمام أحمد في: (مسنده) عن أبي ذر رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم رأى شاتين تنتطحان فقال: «يا أبا ذر أتدري فيما تنتطحان»؟.

قال: قلت: لا.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «لكنَّ الله يدري وسيقضي بينهما».

ومما يدل على حشر الحيوانات: حديث مانع زكاة الإبل والبقر والغنم، وأنها تجيء يوم القيامة أعظم ما كانت وأسمنه؛ تنطحه بقرونها، وتطؤه بأظلافها، حتى يُقضى بين العباد ـ الحديث في: (الصحيحين) وسيأتي نصه إن شاء الله تعالى في موضعه.

حشر كلّ إنسان مع محبوبه

روى الشيخان، عن أنس رضي الله عنه، أن رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم متى الساعة؟

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «وما أعددت لها»؟

فقال: لا شيء ـ إلا أني أحبّ الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «أنت مع مَن أحببتَ».

وفي رواية للبخاري قال: ونحن كذلك؟

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «نعم».

قال أنس رضي الله عنه: فما فرحنا بشيء فَرَحنا بقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «أنت مع من أحببتَ».

قال أنس رضي الله عنه: فأنا أحبّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأبا بكر وعمر وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم.

وعن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله

وسلم: «ثلاث هنَّ حقٌّ: لا يجعل الله مَن له سهم في الإسلام كَمَن لا سهمَ له، ولا يتولّى الله عبداً فيولِّيه غيره، ولا يحبُّ رجل قوماً إلا حُشر معهم».

رواه الطبراني في: (الصغير) و(الكبير) بإسناد جيد كما في: (الترغيب) وغيره.

وعن السيدة عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ثلاثة أحلف عليهن: لا يجعل الله من له سهم في الإسلام كمن لا سهم له، وأسهم الإسلام ثلاثة: الصلاة والصوم والزكاة، ولا يتولى الله عبداً في الدنيا فيولِّيَه غيره يوم القيامة، ولا يحبُّ رجل قوماً إلا جعله الله معهم» الحديث[1].

وعن جابر رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «كلّ نفس تُحشر على هواها، فمن هَوِيَ ـ أي: أحبَّ ـ الكفرة فهو مع الكفرة؛ ولا ينفعه عمله شيئاً»[2].

* * *

(١) قال الحافظ المنذري: رواه أحمد بإسناد جيد. اهـ. وعزاه في: (الفتح الكبير) إلى النسائي، وأحمد، والحاكم، والبيهقي.
(٢) عزاه في: (الفتح الكبير) إلى الطبراني في: (الأوسط).